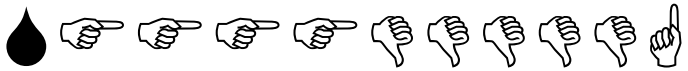

الأهم فالمهم

للشيخ

صالح بن عبد العزيز آل الشيخ

[مفرّغ]✍

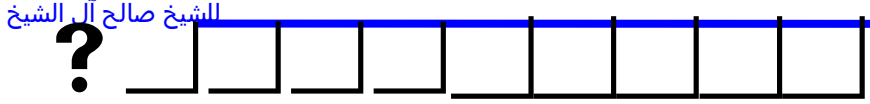

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حق الحمد، وأشهد أن لا إله وحده لا شريك لـه، وأشــهد أن محمــدا عبد الله ورســوله وصــفيه وخليله بلغ الرسـالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وكشف الغمة فصـلى الله على آله وصحبه ومن اهتدى بهداهم إلى يوم الدين.

أما بعد:

فأســأل الله جل وعلا لي ولكم الإخلاص والصــدق في القــول والعمــل، وأســأله أن يجعلنا من أهل البصـيرة في أقوالهم وأعمالهم وفيما قام بقلـوبهم، وأسـأل الله جل وعلا لي ولكم حسن الختــام والمــوت على التوحيد وعلى تحقيق شهادة لا إله إلا الله محمد رسول الله.

ثم أما بعد:

فإن هذا الموضوع الذي بعنوان:

المهم والأهم

مما تنافس في إدراكه العلمـاء والعقلاء؛ لأنه قد قيل في الأمثال السائرة بين العلماء: إن كل إنسان يعـرف الخـير من الشـر؛ لأن الله جل وعلا هـدى الإنسـان إلى النجـدين وهما طريقي الخير والشر، قالوا: والعاقل هو يعلم خير الخــيرين لتحصـيل ذلك الأخْيَر وشر الشــرين ليجتنب الأشر عند تـزاحم الخيرين أو عند توارد الشرين.

الأهم والمهم: مما ينبغي لطــــــالب العلم في نفسه أن يعلمـه؛ بل ولكل مسـلم أن يعلم ما يحتـاج إليه منـه، وينبغي

للداعية أن يعلم ذلك وأن يكون بين عينيه، وكذلك ينبغي للآمر والناهي أن يكون رعاية الأهم والمهم أن تكون رعاية ذلك نصب عينه وفي قلبه.

الأهم والمهم مأخوذ من وصية النبي عليه الصلاة والسلام، فهو أصل شرعي عليه دليله من الكتاب ومن السنة ومن النظر.

وأصله الواضح من السنة قوله عليه الصلاة والسلام فيما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي عليه الصلاة والسلام لما بعث معاذا إلى اليمن قال له «**إِنّكَ تَأْتِي قَوْماً أَهْلَ كِتَابٍ فليكن أول ما تدعوهم إليه شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاّ اللّه وأنّ محمداً رسولُ اللّهِ، فَإِنْ هُمْ أَجَابُوكَ لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنّ اللّه افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي اليَوْمِ وَاللَيْلَةِ فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنّ اللّه افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ زكاة في أموالهم تؤخذ من أغنيائهم فترد في فقرائهم**»، قال إمام هذه الدعوة شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى في مسائل كتاب التوحيد على هذا الحديث قال: وفيه البداءة بالأهم فالأهم. رعاية الأهم وتقديمه على المهم أصل شرعي دلّ عليه هذا الحديث، فإن الصلاة أعظم الأركان العملية في الإسلام ولا حظّ في الإسلام لمن ترك الصلاة؛ ولكن التوحيد أهم منها ولهذا بدأ الرسول عليه الصلاة والسلام في دعوته بالتوحيد، أمره ربه بأن يبدأ بذلك وقال له ﴿ **فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ** ﴾[محمد:19]،

أمر معاذا أن يبدأ بالأهم وهو التوحيد ومعاذ داعية وهذا لاشك تقرير لأصل هذه المسألة وهو الأهم مقدم على المهم، فالصلاة مهمة للغاية وقدم عليها في الدعوة التوحيد لأنه الأصل ولأنه زبدة الرسالات الإلهية كما سيأتي إن شاء الله تعالى تفصيل هذه الجملة.

رعاية الأهم ومعرفة المهم مصدرها الشرع، وليست العقول والأقيسة والاجتهادات بغير دليل مصدر ذلك، فقد يكون في الاجتهاد المماثلة؛ ولكن يظهر في نصوص الشرع المفارقة، فانظر مثلا إلى ركعتي الفجر مع أنها ركعتان كيف كانت مفضلة على الرباعية ﴿**وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا**﴾[الإسراء:78]، وكيف كانت هذه الصلاة فارقة بين المنافق والمؤمن، صلاة الفجر مثلا من حيث كونها ركعتين متساوية في الصورة لصلاة النفل ركعتين، ولكن مع تساوي الصورة وتساوي القصد وهو الامتثال وتساوي الخشوع و الخضوع في الأصل فيهما؛ لكن الله جل وعلا جعل ركعتي الفجر -يعني الفريضة- مفضلة على ركعتي الفجر النافلة وعلى أي نافلة هي ركعتان.

وهذا يدل على أن التفضيل وبيان الأهم من المهم إنما هو مصدره الشرع مصدره النصوص، فإن العقل المجرد قد يظن تساوي هذا وهذا.

كذلك ريال يتصدق به وريال مثله يؤديه زكاة، الذي يؤديه في الزكاة أفضل من الريال الذي يؤديه صدقة مع تساويهما في الإحسان إلى المحتاج ومع تساويهما في القيمة؛ ولكن

الله جل وعلا جعل هـذا أفضل من ذاك وجعل الزكـاة أهم من الصدقة.

كذلك في الحج: حج الفرض يتسـاوى مع حج النفل في الصورة في الأعمـال في الواجبـات في الأركـان؛ ولكن حج الفرض أهم وأهم من حج النافلة.

كذلك العمرة، كذلك كثير من أعمال الشـرع فإنها تتسـاوى في الصـورة تتسـاوى في الأعمـال في الأركـان والواجبـات وربما المســـتحبات؛ لكن تختلف مقاماتها عند الله جل وعلا وما يجب أن يقــدّم عند الــتزاحم يختلــف، وذلك ومصــدر الاختلاف ومصدر التقديم عند المؤمن إنما هو النصوص.

لهذا جاء في الحديث الصحيح الـذي رواه البخـاري وغـيره أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال «**قال الله تعالى: ما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ولئن استعاذني لأعيذنه ولئن سألني لأعطينه وما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي في قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له من ذلك**».

دل الحـديث على أن التفضـيل وبيـان الأهم عند المسـلم مصدره الشرع مصدره النصوص، وهذا تبع لأصل عـام وهو كما يقـول العلمـاء: أن الشـريعة جـاءت لتحصـيل المصـالح وتكميلها وجـاءت لتقليل المفاسد أو درئهـا، جـاءت الشـريعة

بتكميل المصالح وتحصيلها وجاءت بتقليل المفاسد أو درئها ودرئها أيضا، هذه القاعدة العظيمة معناها أن المصالح تحقيقها جزء من الشرع، بل غرض الشارع تحقيق المصالح أو استكمال المصالح.

وإذا تقرر هذا فإن المصالح الشّرعية إنما تكون من أحد طريقين:

الطريق الأول: أن يُنص في الشرع على المصلحة أو أن يكون الأمر الشرعي ظاهرا بيّنا في أمر ما، فإذا كان كذلك فحيث جاء النص فالمصلحة ثَمّ وليس العكس، حيث جاء النص فالمصلحة ثَم، فإذا جاءنا النص الشرعي فنعلم أن ما جاء به النص فهو الأهم وهو سبيل المصلحة.

الطريق الثاني: ألا يعلم النص، أن تكون المسألة حادثة، أن تكون المسألة مجتهدا، فيها فهذا يجتهد فيه العلماء بحسب المصلحة، فما كانت المصلحة فيه أتم وأكثر فإننا نعلم بذلك أن الشرع أراد تحقيق المصالح أو تكميل المصالح، إذا كان ثَم مفسدة فإن الشرع يريد بتشريعه -من مقاصد الشارع في أحكامه- أن يدرء المفاسد أو أن يقللها، فإذا اشتبه الأمر ولا نص فإن رعاية المصالح أصل من أصول الشرع وإن درء المفاسد أصل من أصول الشرع.

إذا تبين لك ذلك فإن رعاية هذه المسألة وتمييز المسلم فضلا عن الدّاعية فضلا عن طالب العلم، إنّ تمييزه بين المهم والأهم هذا من أعظم المقاصد التي لابد أن يحرص عليها المسلم والداعية وطالب العلم والعالم أيضا؛ لأن

معرفة الترجيح بين هذا وهذا ينقض المرء من كثير من الإشكالات.

ولهذا نقول: إن الصور التي يكون فيها مهم وأهم، إن الحالات التي يكون فيها مهم وأهم، يجب فيها أن يُقدم الأهم على المهم، ومعرفة الأهم والمهم مصدرها الشرع فيها جاءت النصوص به، أو مصدرها اجتهاد العلماء فيما جاء به اجتهاد العلماء؛ يعني في النوازل.

فمن المسائل التي فيها أهم ومهم وهي كثيرة لا تفي بها هذه العجالة، منها أن شرائع الإسلام من الصلاة والزكاة والصوم والحج وسائر الفرائض هذه تحصيلها مهم؛ ولكن تحصيل التوحيد أهم.

وهذه القاعدة تنفع المسلم في إقباله على الحياة حيث إنه يعلم أن الأهم التوحيد، وأن الشرائع بعد ذلك، وذلك مستفاد من الحديث الذي سبق ذكره؛ وأن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامُ قدّم التوحيد على غيره في الدعوة وكذلك قدم التوحيد على غيره من أركان الإسلام فقد ثبت في الصحيحين من حديث ابن عمر أن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامُ قال **«بُنِيَ الإِسْلامُ عَلَى خَمْس: شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَدًا عبْدُه ورسُوله، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَصَوْمِ رمَضَانَ وَحَجِ بَيْتِ اللهُ الحرام»** فالتوحيد أهم.

يترتّب على ذلك أن يحرص المسلم على تصحيح عقيدته وتوحيده أعظم من حرصه على التفقه في فروع صلاته وأموره، نعم إن إتيانه بالصلاة والزكاة

والصوم والحج واجب عليه، يجب عليه أن يأتي بها عن توحيـــد؛ ولكن تنقية التوحيد وتعلم التوحيد وما يضـــاد التوحيد أهم من تعلّم غـيره؛ لأن بالتوحيد يثبت المـرء في السـؤال عند القـبر، فـإن المـؤمن عند قـبره فـإن المقبـور يسـأل في قـبره عن ثلاث مسـائل كلها في التوحيـد، عن ثلاثة أصـول كلها في التوحيد وهي: من ربك؟ يعني من معبودك؟ من نبيك؟ ما دينك؟

وإذا صـلح توحيد المسـلم كـان ما بعـده على رجـاء العفو والغفران.

في حق كل مسـلم يجب عليه أن يـرعى أن التوحيد أهم المهمات، وأن ما بعـده من شـرائع الإسـلام مهم؛ قد يكون واجبا قد يكون مستحبا ولكنه ليس في منزلة التوحيد، يتفرّع عن ذلك الأحكام التي يصـدرها المسـلم على ما يـــرى من المجتمعـــات أو من الـــدول أو من الأوضاع أو من الدعوات أو غير ذلك، فإن العُمـدة في ذلك رعاية الأهم وهو القيـام بحق الله على العبـاد ألا وهو التوحيد، والقيام بنفي ضد ذلك ألا وهو الشرك.

فإن ترك المعاصي ترك المحرمات تـرك الكبـائر مهم وأهم منه ترك الشـرك والبعد عن الشـرك لأن الشـرك لا يغفـر، والمعاصي إذا كـانت واقعة من مسـلم موحّد فإنها على رجاء الغفران.

هذا ينفع المسـلم فيها يأتيه ويـذره، ينفع في تقييمه للأمـــور، ينفعه في تقييمه للأمـــوال والأوضـــاع فهـــذه المسألة عظيمة الأهمية.

المسألة الثانية أن الدعوة إلى الله جل وعلا مهمة، ورعاية فقه الأولويات فيها أهم، الله جل وعلا أمر بالدعوة فقال لنبيه ﴿**وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ**﴾[النحل:125]، وقال لنبيه ﴿**قُلْ هَـذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي**﴾[يوسف:108] وقال سبحانه ﴿**وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ**﴾[فصلت:13]، وقال سبحانه ﴿**ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾[النحل:125].

والنبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامُ حث على الدعوة في أحاديث كثيرة ومنها قوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامُ لعلي في الحديث المتفق عليه الذي رواه سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال لعلي «**لئن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حُمْر النعم**» يعني من الإبل الحمراء التي كان يتنافس فيها العرب في اقتنائها لعظم قيمتها، أمر الدعوة معلوم أهميته، معلوم قدره، معلوم فضل من عاناه وزاوله في أخص خاصته أم في أمر العامة، معلوم أهمية أمر الدعوة على سبيل الأفراد أو على سبيل الجماعات؛ ولكن من المهم في الدعوة أن يرعى فقه الأولويات فيها، معنى فقه الأولويات أن يُبدأ في الدعوة بالأولى فالأولى، فنبه على ذلك؛ بل أوضح ذلك نبينا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامُ في رسالة لداعية من دعاة الإسلام وهو معاذ بن جبل رضي الله عنه حيث قال له «**فليكن**

أول ما تدعوهم إليه» هذا فيه بيان لفقه الأولويات في الدعوة.

الدعوة إلى شرائع الإسلام مطلوبة كلها مهمة.

الدعوة إلى نفل مهم، الدعوة إلى مستحب مهم؛ ولكن الدعوة إلى الفرائض أهم.

الدعوة إلى ترك المكروهات مهمة؛ ولكن الدعوة إلى ترك الموبقات والمعاصي والكبائر أهم.

الدعوة إلى ترك الصغائر مهمة؛ ولكن الدعوة إلى ترك الكبائر أهم.

الدعوة إلى الإتيان بالفرائض العملية ولكن الدعوة إلى التوحيد أهم.

يعني أن الدعوة مترتبة بترتيب أولوياتها هناك شيء مهم، هناك شيء أولي؛ ولكن هناك شيء أولى منه، وهكذا فمراتب الدعوة متنوعة، مراتب الدعوة درجات، وهذا إنما يظهر بالفقه في حال المدعوين، وهذا يختلف باختلاف البلاد، فهناك اختلاف البلاد بل واختلاف الأحوال والأشخاص، فالبلد التي يظهر فيها الشرك لا يعلم أهلها حق لله جل وعلا عليهم، فإن أول ما يدعى أهلها إليه أن يُدعوا إلى حق الله جل وعلا الأعظم عليهم وهو أن يعبدوه وحده ولا يشركوا به شيئا، وهذه هي زبدة رسالات المرسلين جميعا ﴿**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ**﴾[النحل:36] وهذا من أعظم ما يرعى.

يكون الداعية في بلد يجهل أهلها بالعقيدة الصحيحة، يجهل أهلها التوحيد، فهذا يبدأ بهم بهذا الأمر الأعظم، ويدرجهم فيه الأهم فالأهم، كما قال الشيخ رحمه الله في مسائله: وفيه البداءة بالأهم فالأهم.

والدعوة إذا تركت رعاية فقه الأولويات فإنها لا تصل إلى مبتغاها؛ لأنها قد فاتها الإتباع للنبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ، والنبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ في دعوته رعى الأولويات رعاية تامة، فدعوته في مكة معلومة تفاصيلها، ثم دعوته في المدينة معلومة تفاصيلها أيضا.

دعوة الأفراد أيضا يُبدأ فيها بالأهم فالأهم، ما يأتيه المرء بالواجبات الشرعية يبدأ فيه بالأهم فالأهم، مثلا يأتي المرء ويبذل جهده وحسن خلقه، بل ويبذل من ماله لمن يدعوه خارج بيته، وربما هو في داخل بيته لا يبذل حسن، لا يبتذل مالا للدعوة، وهؤلاء أعني من بداخل البيوت بشر ومن هم خارج البيوت بشر، والجميع الدخول إلى قبولهم الدخول بطريقة واحدة؛ يعني في أصولها فرعاية البيوت أهم من رعاية من هم خارج البيوت، ولهذا تجد أن طائفة يدعون الناس خارج البيوت إلى أحسن ما تكون الدعوة في رعاية وحسن خلق وبذل مال وبذل عطاء ونحو ذلك؛ ولكنهم في بيتهم لا يبذلون ذلك مع أنّ نصيحة من في البيوت وتربية من في البيوت واجبة، ونصيحة من هم خارج البيت بيت المسلم ليست بواجبة إنما هي مستحبة على العين وقد تجب على الكفاية، الله جل وعلا قال لنبيه

﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾[الشعراء:214]. وقال سبحانه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾[التحريم:6].

فإن البداءة في الدعوة مهمة من حيث الأشخاص بمن تبدأ في دعوتك والفشل كل الفشل أن يفشل المرء مع قرابته وأهله؛ ولكنه تجده مع الأصدقاء أو من الزملاء أو مع من يعاشرهم ناجح، كيف صار ذلك؟ هذا من جراء عدم رعاية الأولويات والواجبات الأهم فالأهم، وإلا لو رأى ذلك لكان بذله وحسن خلقه عطاءه في بيته أعظم مما يفعله من ذلك خارج بيته.

نسأل الله جل وعلا لنا ولأهلينا ولذرارينا التوفيق والهداية.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مهم؛ لأن الله جل وعلا أمر به في كتابه فقال ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[آل عمران:104]؛ ولكن رعاية ما توجبه الشريعة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أهم من الإتيان بمطلق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولهذا يذكر علماء السنة في عقائدهم فصلا متعلقا بالأمر بالمعروف والنهي وهو ما يسمى بمنهج معاملة الخلق، فقال شيخ الإسلام مثلا في العقيدة الواسطية في بيان اعتقاد أهل السنة والجماعة قال: هم مع ذلك يأمرون-يعني من العقائد التي ذكرها في عقيدته- قال: وهم مع ذلك يأمرون

بالمعروف وينهون عن المنكر على ما توجبه الشريعة. لأن الأمر والنهي قد ادعاه كثيرون، وادعته الخوارج، فإن الخوارج فيما فعلوا إنما فعلوا مريدين حقيقة الأمر والنهي، ادعته المعتزلة فيما فعلوا، ادعته الرافضة فيما فعلت، وهم في ذلك مجانبون لحسن الأمر والنهي، ولا يكون الأمر والنهي حسنا حتى يكون موافقا لما توجبه الشريعة. ولهذا قيده شيخ الإسلام في الواسطية بقوله: وهم مع ذلك يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر على ما توجبه الشريعة.

فإذن رعاية الأمر والنهي مهم؛ ولكن رعاية ما توجبه الشريعة في الأمر والنهي أهم.

ولهذا قال العلماء: ليكن أمرك بالمعروف من المعروف، وليكن نهيك عن المنكر بمنكر، وقال شيخ الإسلام في رسالته الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: من لم يتبين له وجه الترجيح بين المصالح والمفاسد فليس له الحق أن يدخل في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ميدانه واسع، يدخل فيه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على مستوى الأفراد، يدخل فيه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على مستوى البلد، يدخل في الأمر والنهي على مستوى المجتمعات، يدخل فيه الأمر والنهي على ما هو أعظم من ذلك.

فـالأمر والنهي يحمد ومطلـوب وواجب في الشـرع؛ ولكن أهم منه أن يكـون الأمر بـالمعروف بـالمعروف وأن يكـون النهي عن المنكر ليس بمنكـر، ولهـذا قـال (على ما توجبه الشـريعة)، فهـذا القيد أهم من الإتيـان بالأمر والنهي.

ولهـذا اشـترط العلمـاء في الآمر النـاهي أن يكـون عالما بما يـأمر به وينهى عنـه، عالما بتحقيق المصـالح ودرء المفاسد، وغير ذلك من الشروط.

ولهـذا نسـتفيد من هـذه أن الأمر والنهي إذا كـان مهمـا، فـأهم منه فقه الأمر والنهي، معرفة ما توجبه الشريعة في ذلـك؛ لأن هـذا به تصـلح الأحـوال، أرأيت أن رجلا لم يـرع ذلك كيف سـيخرجه عـدم رعايته لما يوجبه الشـرع من الأمر والنهي إلى أمـور مخالفة لما أراده الله جل وعلا وأراده رسـوله صَـلَّى اللَّهُ عَلَيْـهِ وَسَلَّمَ.

من معاملة النـاس يـأتي إلى رجل لا يصـلي أصلا فيـأمره بـالوتر، يـأتي إلى رجل لا يصـلي أصلا فيـأمره بأحد المستحبات، أو يأمره بأمر من الأمور بالأخرى من الـذكر في الصـباح والمسـاء، يـأتي إلى رجل لا يحضر الصلاة فينهاه عن مشاهدة النسـاء، نعم نهيت وأمـرت؛ ولكن ما رعيت فقه الأمر والنهي؛ لأن القلـوب جعلها الله جل وعلا تقبل الحق شـيئا فشـيئا، لا تقبله جملـة، وتـترك الشر جملـة، وإنما في الغـالب أن تقلبه شـيئا فشيئا.

فإذن الإتيان بشروط الأمر والنهي هذا به يحصل المقصود، يتفرع عن هذا الأصل فرع آخر ذكره شيخ الإسلام وابن القيم وجماعة، وهو أنّ الغيرة على دين الله مهمّة؛ ولكن الأهم أن تكون الغيرة مضبوطة بضوابط الشرع وبأدلة الشرع.

يقول ابن القيم رحمه الله في المدارج: إذا انغلق على المرء باب الغيرة على دين الله انغلق على قلبه محبة الله، وإذا انغلقت عن قلبه أبواب محبة الله انغلق على قلبه باعث العمل الصالح، وإذا فقد العمل الصالح قرب من كل شر وسوء.

فالغيرة على دين الله، على محارم الله، على حدود الله، على الإسلام وأهله، هذا أمر واجب ومطلوب، وبه تفتح أبواب الخيرات على قلب العبد المؤمن؛ ولكن أهم منه أن تكون هذه الغيرة الواجبة قامت في القلب على وفق ما أرشد إليه الشرع، الفِرق التي ضلت في باب معاملات الصحابة، وفي باب معاملة الولاة وفي باب معاملة المسلمين من حيث تكفيرهم تكفير العصاة، ومن حيث تضليل الأمة ونحو ذلك أتى لهم ما قالوه أو فعلوه أو اعتقدوه من جهة الغيرة، كانوا أصحاب غيرة على دين الله، غاروا على القرآن، غاروا على الإسلام؛ ولكن غيرتهم لم تكن على وفق الشرع فصارت باطلة قادتهم إلى السوء.

ولهذا قال العلماء: إن الغيرة تكون محمودة وتكون مذمومة، فإذا كانت على وفق الشرع كانت محمودة، وإذا كانت على وفق الهوى كانت مذمومة.

وهذا الباب باب واسع، نعم الغيرة أمرها مطلوب، بل إنها ينفتح على القلب المؤمن الأعمال الصالحة ومحبة الله جل وعلا، النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامُ يغار على حرمات الله، يُرى في وجهه الغضب على حرمات الله، والله جل وعلا أغير على حرماته من خلقه، إن الله جل وعلا يغار أن يزني عبده أو أن تزني أمته، والنبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامُ يغار على حرمات الله وكل مؤمن متبع للنبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامُ يغار الغيرة الشرعية.

ولكن افترق الناس في هذه الغيرة، منهم من غار غيرة محمودة ومنهم من غار غيرة مذمومة.

منهم من غار الغيرة المذمومة فقادته إلى مخالفة أمر الله في المنهج والسلوك والمواقف مع الناس ومع الجماعات ونحو ذلك، فيجب أن تكون الغيرة على وفق الشرع.

الغيرة بمنهج أهل السنة والجماعة مطلوبة وواجبة؛ لكن الأهم منها أن تكون الغيرة على عقيدة أهل السنة والجماعة على ما أصّله أهل السنة والجماعة، فإن الغيرة عليها قد تنحرف بالمرء إلى مهاوي الردى بأن يغار بهواه، وتكون غيرته ناتجة عن سوء فهم، ويكون قصده صحيحا ولكن يكون فعله.... وقد كان في الأمة من هؤلاء كثير في كل زمن، فأهل السنة

بين الغـالي والجـافي؛ منهم من غلا ومنهم من جفـا، والمحققون المتابعون للسنة والجماعة بين هذا وهذا.

فالغيرة على الدين، الغيرة على التوحيد، الغيرة على عقيـدة أهل السـنة والجماعـة، الغـيرة على علمـاء الإسلام، هذه يجب أن تكون على أصولها، وهـذا أهم لأنها إن لم تكن على أصولها الشـرعية قـادت أصحابها إلى مهاوي الردى والعياذ بالله، ضـلوا فأضـلوا، أو زلـوا فأزلوا، ولهذا كان دعاء العلماء وأخص الدعاء بالعلماء أنهم يقولون في دعائهم عند خروجهم من بيـوتهم؛ بل وفي كل حال: اللهم إنا نعـوذ بك أن نـزل أو نـزل، أو نضل أو نضل أو أن نجهل أو يجهل علينـا، هـذا من الـدعاء العظيم؛ لأنه بالزلل يحصل الخلل والمـرء يجب عليه أن يتابع الشرع في ذلك كله.

إصـلاح الظـاهر بالمتابعة سـنة النـبي عَلَيْـهِ الصَّـلاَةُ والسَّلاَمُ مهم؛ ولكن إصلاح الباطن بالإخلاص أهم؛ لأن المتابعة منها ما هو واجب ومسـتحب، وأما الإخلاص فهو واجب والإخلاص هو تصفية القلب من إرادة سوى الله جل وعلا بـالقول أو بالعمل أو بالاعتقـادات يخلص القلب عن إرادة ما سوى الله جل وعلا.

إن الاتباع الظـاهر للنـبي عَلَيْـهِ الصَّـلاَةُ والسَّـلاَمُ وإن صـلاح الظـاهر مهم؛ ولكن إصـلاح البـاطن بحسن المعاملة والتعامل وصـدق التعامل مع الله جل وعلا هـذا أهم؛ لأن في الجسد مضـغة إذا صـلحت صـلح الجسد كلـه، وإذا فسـدت فسد الجسد كله ألا وهي

القلب، فكم من إنسان لم يصلح قلبه وكان ظاهره صالحا، ثم ضل بعد ذلك لأجل عدم رعايته لصلاح قلبه، وقد قال العلماء في الحديث الذي جاء فيه أن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، ورجل آخر يعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينها وبينه إلا ذارع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها

قال العلماء: من عمل بعمل أهل الجنة في الظاهر ثم خُتم له بسوء الخاتمة، الغالب في هؤلاء أنهم لم يصلحوا باطنهم، وإنما كان ظواهرهم صالحة وأما بواطنهم ففيها من الشكوك والشبهات والشهوات ما الله بها عليم.

فالواجب على العبد أن يرعى ظاهره لأنه مهم، ويرعى ما هو أهم من ذلك برعاية باطنه وهو قلبه بإصلاحه وإخلاص القصد والعمل والوجه لله جل وعلا، ولهذا قال تعالى فيمن ادعوا الجنة قال سبحانه ﴿**وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ**﴾[البقرة:111] بيّن أن البرهان صلاح الباطن وصلاح الظاهر، وقدّم صلاح الباطن على صلاح الظاهر لأهميته وقال سبحانه بعد هذه الآية ﴿**بَلَى**﴾ يعني سيدخل الجنة ﴿**مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ**﴾

[البقرة:112] من أسلم بالإخلاص وهو ومحسن وهو متابع للنبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ وهو محسن بقوله وفعله.

طلب العلم وتعليم العلم مهم، ورعاية التدرج فيه أهم، إن طلب العلم مهم، العلماء رفع الله قدرهم في الدنيا وفي الآخرة قال سبحانه ﴿**يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ**﴾[المجادلة:11] قال سبحانه ﴿**وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا**﴾[طه:114]، وقال ﴿**هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ**﴾[الزمر:9]، طلب العلم مهم أُغْدُ عالما أو متعلما، تعليم العلم مهم، وأهم منه أن يكون ذلك التعلم والتعليم على وجه التدرج، ممتثلا فاعِلُ ذلك قولَ الله جل وعلا ﴿**كُونُواْ رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ**﴾[آل عمران:79]، قال أبو عبد الله البخاري في صحيحه: الربانيون هم الذين يربون الناس بصغار العلم قبل كباره.

من المهم أن تطلب العلم؛ لكن أهم من ذلك أن تطلب العلم على تدرج، تأخذ المسألة فالمسألة، تأخذ الأولى فالأولى، تأخذ المرتبة الأولى ثم تصعد درجة إلى ما هو أصعب وهكذا، قال أبو شهاب الزهري فيما رواه ابن عبد البر في الجامع ورواه غيره قال: من رام العلم جملة ذهب عنه جملة؛ ولكن يطلب العلم على مر الأيام الليالي.

... الذي حصّله العلماء الراسخون، لابد إن كنت من محبي العلم أن تسير في طلب العلم على التدرج؛ بالعناية بالمتون، العناية بأوائل العلوم، ثم تتدرج، لم تحسن الأوائل فتذهب

إلى الكتب المطولة، لم تحسن الحكم حكما بدليله، معرفة المسألة بدليلها، فتذهب إلى اختلافات العلماء والأقوال في ذلك، هذا الإخلال بالتدرّج يحجب عنك الوصول إلى مبتغاك في العلم.

تعليم العلم مهم، وأهم منه أن يجعل طالب العلم الذي يعلّم العلم أو العالم الذي يعلم العلم يجعل درسه على قاعدة التدرج، يربي الناس بصغار العلم قبل كباره، إذا علّمتهم الألف والباء والتاء والثاء، فإنهم بعد ذلك، سيتعلمون تركيب الجمل؛ يعني إذا علمتهم المسائل الأولى في التوحيد المختصرات فيه، المختصرات في العقيدة، المختصرات في الفقه، بعد ذلك سينتقلون إلى مرحلة أكبر، سيكون التدرج كبناء البناء، إنما يكون شيئا فشيئا، وإذا جمعت للبناء عدّته من جميع أصناف ما يحتاج إليه ورسمت هذه على هذه دون تدرج، فإنك لا تصل إلى بغيتك والله جل وعلا خلق السماوات والأرض في ستة أيام، قال بعض أهل التفسير: ربنا جل وعلا قادر على أن يخلق ذلك وأعظم منه بكلمة، على أن بخلق ذلك في لحظة؛ ولكن خلق ذلك في ستة أيام لحكم كثيرة، منها أن يعلم خلقه الذين يشهدون هذا الملكوت أن الأمور العظام إنما تكون بالتدرج وبرعاية الأمور وبرعاية الشيء فالشيء.

كثير منا من يُعلم العلم، كثير منا من يتعلم العلم؛ لكن إن فاتت المنهجية فات التدرج فاتك خير كثير؛ لأن العلم بالأهم فالأهم.

يطلب الناس العلوم وهي كثيرة، هذا تجده يطلب السيرة، وذلك يطلب الحديث، يخرج الحديث يعرف

الضعيف من السقيم والرواة والتجريح والتعديل، وذك يعلم تفاصيل في مسألة ألف رسالة؛ بل رسائل في مسائل؛ ولكنه لا يعلم مسائل التوحيد بأدلتها، لا يعلم مسائل عباداته التي يزاولها بأدلتها، هذا فاته أن يرعى الأهم، نعم إن طلب العلم مهم، وجميع العلوم المستحب منها والواجب كلها مهمة؛ لأنها من الشرع ولكن العلم درجات، والأهم يقدم على المهم.

ولهذا تجد أن كثيرا من طلاب العلم في هذا الوقت، تجد أنهم يقرؤون كثيرا، ولا يحصلون كثيرا، يحصلون ماداموا قريبين من القراءة؛ لكن ما أسسوا العلم على أصوله؛ لأنه فاتهم الأهم وهو التدرج.

فإذن هذه قاعدة وهي أن طلب العلم مهم ولكن التدرج في طلبه أهم، إن التعليم تعليم العلم مهم؛ ولكن التدرج في ذلك التعليم أهم.

نقول أيضا: إن طلاب العلم ينبغي لهم أن يحرصوا على من يعلمهم صغار العلم قبل كباره، يحرصون على من يبدأ بهم بالأصول بالمتون، يأتي آت ويقول فلان الشيخ أو العالم أو طالب العلم ليس عنده تفصيل في المسائل، نعم إن عدم تفصيله الطويل في المسائل هذا هو الذي زينه وهذا هو الذي ينفعك لأن طالب العلم المعلم لا يأتي للمتعلمين بكل ما عنده، وإنما ينشئهم خطوة فخطوة وإلا لو أتى بما عنده فإنه يمكنه أن ينظر في الكتب ويأتي لهم بالمسألة الواحدة بما يدوم عندهم إلى عشرين جلسة مثلا، يؤلف منها

كتابا يعرض الأقوال فيها كثيرة يوصل في المسألة الواحدة إلى خمسة أقوال تسعة أقوال عشرة أقوال؛ بل إلى أربعين قولا في بعض المسائل، هذا ليس العلم.

العلم إحكام الأصول وإحكام مقاعد العلم، العلم بالقواعد، العلم بالأولويات حتى إذا علمت الأول، بعد ذلك يأتي إليك الثاني وقد تمرن ذهنك على الأول، فيرتقي ذهنك في إدراك العلوم، نعم إن طلب العلم مهم ولكن التدرج فيه أهم، إن التعليم مهم؛ ولكن التدرج في التعليم أهم.

ثم إن الإخلاص في ذلك جميعا مهم ومهم ومهم، وأيضا أهم من كثرة الإلقاء، أهم أن يكون العبد مجاهدا نفسه في الإخلاص.

قال العلماء ضابط الإخلاص في العلم أن ينوي رفع الجهالة في نفسه، سئل الإمام أحمد كيف يكون طالب العلم ذا نية في العلم؟ فقال: يكون طالب العلم ذا نية في العلم إذا نوى رفع الجهالة عن نفسه. يطلب العلم ليرفع الجهل عن نفسه، أتى بالإخلاص فيه، بالنية الصالحة فيه، حتى يرفع الجهل عن نفسه ليعلم أمر الله ونهيه، ليعلم ما أخبر الله في كتابه وما أخبر النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ في السنة من العقائد وأخبار الغيب ليعتقد ذلك، هذه نية صالحة.

المعلم فنيته الصالحة بأن ينوي رفع الجهل عن غيره وعن نفسه؛ لأنه إذا علم فإنه سيستفيد هو ويفيد غيره.

إذن فهـذا الإخلاص في العلم، الإخلاص في التعلم، الإخلاص في التعليم، هذا مهم للغاية.

إذن إرشاد الناس مهم؛ ولكن الكلمات في إرشادهم أهم، نعم إن الداعية يلقي الكلمـــات ويحاضـــر، إن العالم يـبين الحق ويوضح المقـال، وذلك كله مهم لأنه واجب في الشـــرع على الكفاية ويســـتحب في حق الأكـــثر؛ ولكن الأهم أن يتنبه الملقي لكلماتـــه، لأن المتلقي للكلمـات قد يحمل المجملات على فهمه هـو؛ فيحمل فيها على غير مراد المتكلم، وقلة الكلام وضبط الكلام أولى من كثرة المسائل والفروع دون رعاية لما يأتي وما يذر حسب الاستطاعة.

هذه القاعـدة مهمـة، أنت في لقـاءٍ مع إخوانك فيما تتكلم، فيما تنقل فيه مع العلمـاء، وفيما تنقل منه من الـدعاة، وليكن تعبـيرك سـليما، لا تعبّر بما تفهم دون تـــدقيق، كـــذلك المتكلم إذا تكلم ينتبه إلى أن يكـــون كلامه دقيقا حتى لا يُحمل على غير ما يريد.

إن طلب الحق مهم، وإن الاعـتراف بالخطأ أهم، إنّ إرشـاد النـاس إلى الحق أمر مهم، وقد يخطئ المرشد يخطئ الداعية فيما يرشد النـــاس إليـــه، فرجوعه عن خطئه أهم، ولهـذا لما أفـتى أحد علمـاء السـلف في مســألة في الحج بفتــوى أخطأ فيهــا، كــان يظن أنه مصيب، ثم بعد ذلك أرشد إلى دليل في المسألة فرجع عن قوله فيها فاسـتأجر مناديا ينـادي في فجـاج مـنى:

من أفتاه فلان فليقبل، من أفتاه فلان في مسألة فليقبل، حتى إذا اجتمعوا أخبرهم برجوعه عن كلامه.

نعم إن المراجعات مهمة، إن الاعتراف بالخطأ مهم؛ لأنه يجعل المرء في نفسه يعلم أن نفسه تخطئ، وأنه ليس بمعصوم عن الخطأ، وكذلك يزيد في قدره عند الآخرين؛ لأن كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون.

هذه أصول مجملة مختصرة؛ لكن فيها إرشاد وبيان لمسائل أحسبها مهمة؛ لأنها ضوابط والضوابط تعصم العقل من الخطأ، وكذلك تعصم العمل من الضلال، وكذلك تعصم اللسان من الافتراء، فإن معرفة العبد الحقوق الشرعية والضوابط الشرعية بأدلتها هذا مهم وأهم للغاية؛ لأنه عند الاشتباه يحصل كثير من الزلل.

بقي أن نقرر قاعدة وهي أن هذه التقاسيم من مهم وأهم، هذه إنما تستفاد من أهل العلم؛ لأنني ذكرت أن موردها ودليلها النصوص وليس العقل والاستحسان، فتقسيم الأشياء، تقسيم مراتب الأمور الشرعية ومراتب ما يزاوله المرء، هذا إذا كان فيه نص فإن العلماء يبينون الأهم والمهم من ذلك.

فإذا اشتبه على المرء المسلم ذلك فإن عليه أن يرعى الرجوع إلى العلماء، حتى يبينوا له مراتب ذلك فيسير على بينة من أمره.

هـذا وأسـأله جل وعلا لي ولكم التوفيق والسـداد والهداية والرشاد، وأسـأله جل وعلا أن ينفعـني وإيـاكم بما سمعنا.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

[الأسئلة]

هذه بعض الأسـئلة وسـتكون إن شـاء الله تعـالى الإجابة عنها مختصرة لأجل أخذ كثير منها.

س1/ هل من الأهمية في طلب العلم أن يقـــــرأ الإنسـان في كتب أهل السـنة والجماعة ويـترك الكتب الـتي كتبها من عليه ملاحظـات في عقيدته وتطّـرح ولا يرجع إليها؟

ج/ الجـواب أن العلم لابد أن يؤخذ عن مـأمون في عقيدته، وكتب أهل السنة والجماعة كفيلة بهذا.

وأما الكتب العصـرية فإنها لا يحتـاج إليها في العلم إنما هي من جهة الثقافة والإطلاع على ما في العصر أو على الأفكار أو على التحليلات ونحو ذلك.

أما العلم من حيث هو فإنما يؤخذ عن كتبه التي بها تعلّم العلماء وتخرج العلماء.

هـذه الكتب لا بـأس من مطالعتها –الكتب العصـرية- لكن بشروط:

منها أن يكون المطالع عنده تمييز في عقيدته بين الحق والباطل؛ لأنه ربما قرأ كتبا فيها تعبير من الباطل ولم يلحظ هـذا، فكم رأينا من قـرؤوا كثـيرا من هـذه الكتب الشرعية شاع على ألسنتهم بعض العبارات الـتي

تخالف العقيدة الصحيحة ممن مثل شاءت الأقدار، ونحو ذلك من العبارات التي فيها مخالفة، أو من مثل ما هو أعظم من ذلك من سؤال صفات الله ومناداتها كـ: يا رحمة الله، يا عفو الله. أو ما شاكل ذلك.

أنا ذكرت هذا الشرط وبقية الشروط نذكرها على وجه الإختصار:

الثاني: أن يكون الكتاب ليس متمحضا للفساد، ليس متمحضا للضلال، أما إذا كان متمحضا للضلال فهذا لا تجوز قراءته أصلا، أما إذا خلط فيه حق وفيه باطل فهذا يقرؤه من يميز بين هذا وهذا.

الثالث: أنه إذا قرأ ذلك قصره على نفسه، وإذا كان في هذه الكتب بعض حق فإنه يأخذها إذا دل عليها الدليل ويأخذ الحق ولا يدلّ على الكتاب الذي قرأ فيه تلك الأمور ومن لا يحسن التفرقة بين الحق والباطل؛ لأنه إذا دله عليه ربما ضره ذلك في دينه.

يقول هذا نفس السؤال: هل المهم للداعية أو لطالب العلم أن يقرأ في الكتب العصرية؟

س2/ انتشرت في الآونة الأخيرة بين الشباب الصحوة ما قد علمتم من الخلاف وانقسم الشباب إلى طوائف شتى، وقد والله احترت مع من أكون وأين الحق ومع من هو ثم هل يبرر هذا الخلاف انقسام الشباب، فأسألكم أن تقولوا في هذه المسألة لي قولا شافيا إلى آخره.

ج/ الجواب أن الفتن إذا وقعت والمشتبهات إذا حلت فإنما يعلم الفصل فيها أهل العلم الراسخون، وهذا

الانقسام الذي حصل هو من جراء مخالفة أوامر الله لأن الله جل وعلا يعاقب من خالف أمره بالفرقة، قال سبحانه ﴿**وَمِنَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ**﴾ يعني بأن يتبعوا وأن يلتزموا بالحق ﴿**فَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِ**﴾ النسيان بمعنى الترك فتركوا حظا مما ذكروا به، عندهم الأدلة واضحة عندهم البينات التي ذكروا بها فتركوا ذلك مع العلم به، عاقبهم الله جل وعلا بالفرقة فقال سبحانه ﴿**وَمِنَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء**﴾ [المائدة:14].

وإذا كان العلم سهل الحصول، كان العلم قريبا كانت الحجج واحة بينة، ثم خالف فيها من هي عنده تركوها مع قربها يعاقب الناس بالفرقة فيما بينهم بقدر ما تركوا، وهذه ذكّر بها شيخ الإسلام رحمه الله في موضع وهو تنبيه مهم، فإنه من نتيجة الالتزام الدليل بأمر الله يحصل الاتفاق والاجتماع، والاجتماع رحمة، وبمخالفة الحق بعد العلم به تحصل العقوبة ومن العقوبة الفرقة والاختلاف.

هذه الفرقة وهذا الاختلاف يجب أن يعامل المرء فيه نفسه ومن حوله بالعدل، والعدل كان في طريقة العلماء الراسخين الذين لهم في ذلك الكلمات الشافية منهم بل أمامهم سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز حفظه الله تعالى كذلك سماحة الشيخ محمد

بن عثيمين حفظه الله تعالى وكذلك بقية مشايخنا فطريقتهم هي الطريقة التي من اعتصم بها إن شاء الله أنه ناج؛ لأنه على وفق العلم وعلى وفق الأصول الشرعية، وما قالها من قالها إلا عن علم وبصيرة.

أسأل الله أن يطفئ الفتن وأن يجمع قلوب الدعاة على دينه، وأن يجعلنا جميعا من المجيبين؛ لأهل الحق وللعلماء وللدعاة ومن المسددين لهم في أقوالهم وأعمالهم.

س3/ تقول إن التوحيد هو أهم شيء، فهناك من يقولون إن عقيدة التوحيد تشرح في عشر دقائق، فماذا تقولون؟

ج/ إن عقيدة التوحيد تشرح في أقل من عشر دقائق؛ لأن عقيدة التوحيد هي معنى الشهادتين أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله، فإذا شُرحت هاتان الكلمتان فُهم التوحيد لكن كما قال الإمام علي رضي الله عنه قال: العلم نقطة كثّرها الجاهلون. العلم أصله قليل لمن فقه ولهذا كلام السلف قليل كثير الفائدة وكلام الخلف كثير قليل الفائدة، كما قال ابن رجب في كتابه فضل علم السلف على الخلف.

نعم إن بيان التوحيد قليل النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامُ قال لمن يفهم معنى كلم التوحيد «**قولوا لا إله إلا الله تفلحوا**» لأنهم يعلمون معنى هذه الكلمة لكن لما شاع الجهل وكثر الجهال أصبحوا لا يفهمون التوحيد

في هذا الزمن اليسير، لما كثر المخالفون للتوحيد كثر المخالفون لعقيدة السلف الصالح في الصفات وفي الإيمان وفي القدر وفي الموقف من الصحابة وفي الموقف الحق من الأمر والنهي وفي الموقف من ولاة الأمور والأئمة ونحو ذلك من مباحث الاعتقاد، احتاج العلماء إلى أن يبينوا العقيدة الصحيحة في أيام؛ بل في شهور؛ بل في سنين؛ لأن المخالفين كثروا ولأن التشويه كثر، فاحتاج العلماء لأن يبينوا العقيدة في أوقات كثيرة.

نعم إنها في الأصل في زمن النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ تبينها بكلمة يعلم المرء ما تشمل وما تضاد؛ ولكن في مثل هذا الزمن بل في الأزمنة التي فشا فيها الشرك وفشت فيها الفرق الضالة وفشا فيها الضلال بأنواعه، لا يمكن أن يبصر الناس بالتوحيد إلا بعد بيان أصول وأصول وشرح كتب وكتب حتى يتبين له الحق من الضلال وحتى يتبين له الموقف الصواب من غيره، والله أعلم.

س4/ هل من المهم للمسلم البحث عن مثالب الناس وعيوبهم وإظهارها، وأنه مقدم على رجوع الإنسان إلى نفسه؟

ج/ الواجب على المسلم أن يعتني نفسه إصلاحا

عليك نفسك فتش عن معايبها وخلك عن عثرات الناس للناس

﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ**﴾[المائدة:105]، إظهار عيوب الناس لا يجوز؛ بل ستر عيوب المسلمين واجب «**من ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة**» ثبت ذلك في الحديث الصحيح أما الأمر والنهي فهذا واجب أو مستحب حسب الدرجات التي أخذ بها النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامُ.

س5/ لي بعض الزملاء في العمل بلغت بهم الجراءة أن يدعوا المتمسكين بالسنة بالفجرة وإيذاء الصالحين بالكلام والغمز واللمز.

ماذا ترى شيخ مع هؤلاء مع أننا بذلنا ما في وسعنا ولكنهم لم ينتصحوا، أنرفع بهم إلى الجهات المسؤولة أم ماذا نفعل تجاههم، قد آذونا مع العلم أننا لا نستطيع مفارقتهم، ومع هذا يا شيخ لا يحرصون على الصلاة.

ج/ نسأل الله جل وعلا لنا ولهم الهداية، الصبر، لا تملوا النصيحة لا تملوا الإرشاد تذكر قول الله جل وعلا ﴿**كَذَلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللّهُ عَلَيْكُمْ**﴾[النساء: 94]، ليس بعزيز على الله أن يصلح أشد الناس كفرا، فأنت احتسب وادع لهم في أوقات الخلوة وأصبر عليهم لعلهم أن يهتدوا، إذا أمكن ألا يظهروا ذلك الكلام برفع أو تأديب فإن هذا متعين؛ لكن فيما بينك وبينهم عليك بالدعوة والصبر والدعاء لهم في ظهر الغيب لعل الله جل وعلا أن يهديهم.

س/ نحن جماعة مسجد اختلفنا حول عمال يحضرون الصلاة وهم بملابس العمل فمنا من قال، إلى آخره.

ج/ هذا سؤال من قبيل الفتوى وما كان من قبيل الفتوى فإني لا أجيب عليه؛ لأنه لا يفتى ومحمد في عنيزة.

س/ حيث إنكم أحد أحفاد الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله إمام الدعوة إلى الكتاب والسنة في هذه البلاد، أرجو إرشاد الشخص الذي جاء إلى هذه البلاد من بلد مجاور مسلم ولكن في بلده متعلقون بالقبور والأضرحة والتمسح بها والذبح عندها فما هو الطريق لاصلاحهم.

ج/ الطريق لإصلاحهم من جهتين:

الجهة الأولى التعليم.

والجهة الثانية: الترغيب والترهيب وبيان مآل هؤلاء ومآل هؤلاء .

أما من جهة التعليم فهذا واضح، وهو أن التوحيد يحتاج إلى التعلم والناس في تلك البلاد كما قد خالطت بعضهم، يجهلون معنى التوحيد، مثلا إذا سألته عن قول معنى لا إله إلا الله ظنّ أن معناها لا رب موجود إلا الله، والربوبية غير الألوهية؛ لأن الله جل وعلا قال ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾[1] وبيّن أن المشركين يقرون أن الله هو ربكم وأنه

---

[1](?) غافر:65، الزمر:75، يونس:10، الفاتحة:2.

هو خالقهم ﴿**قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ(86) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ**﴾[المؤمنون: 86-87] فهم يوقنون بأن الله هو الرب وحده؛ ولكن الابتلاء وقع في تعلق القلب هل للمرء أن يتوجه بالسؤال للموتى وللأوثان للأصنام للصالحين؟ فالله جل جلاله بين أن عيسى عليه السلام أدعي إلهاء وأن اللات هو رجل صالح كان يلت السويق يحسن إلى الناس فلما مات عكفوا على قبره كان اتخذه الناس وثنا اتخذوا قبره وثنا واتخذوا له صورة وجعلوها صنما، وهكذا، كان الناس يشركون لا في الربوبية ولكن في الألوهية باعتقادهم أن هذه الأوثان والأصنام وأن أصحابها يرفعون الحاجات إلى الله قال سبحانه وتعالى ﴿**وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى**﴾[الزمر:3] يعني يقولون كما قاله أهل التفسير والذين اتخذوا من دونه أولياء يقولون ﴿**مَا نَعْبُدُهُمْ**﴾ يعني ما نعبد تلك الأشياء ما نعبد الأولياء ﴿**مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى**﴾، ما نعبدهم استقلالا نعلم أنهم بشر ولكن نريد أن يرفعوا بحاجاتنا إلى الله لأن لهم المقام العالي عند الله.

ذكرهم بالآيات اتلو عليهم القرآن وفسر لهم القرآن، فسر لهم قوله تعالى ﴿**وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ (13) إِن تَدْعُوهُمْ**

﴿لَا يَسْمَعُوا دُعَاءكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾[فاطر:13-14]، قال الله جل وعلا ﴿وَالَّذِينَ﴾ وهذا اسم موصول لمن يعقل ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾ يعني ما يملكون في قبورهم ولو قطمير اللفافة التي تكون على نواة التمر ﴿مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ (13) إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءكُمْ﴾ لم؟ لأنهم أموات كما قال ﴿أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاء وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾[النحل:21] فإذن هناك آيات كثيرة في القرآن فيمن يبعث في ميت ليس بحي وهذه ظاهرة لو تليت على أولئك لتنبهوا إذا كان جل وعلا مريدا بهم خيرا.

فاتْلُ عليهم الآيات، وعلمهم وبين لهم ذلك، ثم بعد ذلك أسلك معهم طريقة الترغيب والترهيب والتخويف، والترغيب والتخويف من عاقبة الشرك، وبيان فضل التوحيد على أهله بعد التعليم بمعنى الشهادتين ، معنى التوحيد العبادة لا يجوز صرفها إلا لله، معنى التوحيد وأنه حق الله ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾[البقرة:112] ونحو ذلك من الآيات.

واسْألْ الله لك ولهم الهداية، فإن الله جل وعلا قلوب العباد بين أصبعين من أصابعه فلا تبخلْ بالهداية.

س/ لاشك -ولله الحمد- أن هذه البلاد تأثرت بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ورزقه من ذريته من يسير على طريقته.

-جزاك الله خيرا.-

نلاحظ أن الناس إذا كلمتهم في أمور العقيدة قالوا عقيدتنا سليمة إذا نظرنا إلى الواقع تحيرنا، الولاء والبراء هل هي من أمور التوحيد فهل يكون التوحيد سليما ونحن نجد أن معظم المؤسسات والناس يقربون الكفار والبوذيين والنصارى ويبعدون أهل الإسلام.

ج/ الولاء والبراء هو معنى كلمة التوحيد، حقيقة كلمة التوحيد هو الولاء والبراء.

سأل رجل من طلاب العلم الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن رحمه الله فسأله قال: هل الولاء والبراء من لوازم كلمة التوحيد أم هو أمر خارج عنها -يعني واجب مستقل-؟ فقال: وأسفا على العلم الذي عندك لأنك لم تعرف مكانة الولاء والبراء في دين الله، والولاء والبراء هو لا إله إلا الله محمد رسول الله، كلمة التوحيد ولاء وبراء. قال جل وعلا في سورة الزخرف ﴿**وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاء مِّمَّا تَعْبُدُونَ (26) إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ (27) وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ**﴾[الزخرف:26-28]، والكلمة التي بيقيت في عقب إبراهيم هي كلمة التوحيد لا إله إلا الله

ونفسيرها قوله ﴿**إِنَّنِي بَرَاء مِّمَّا تَعْبُدُونَ (26) إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي**﴾ براءة من المعبودات ومن الشرك والكفر وموالاة وولاء لله ولدينه ولتوحيده.

والولاء والبراء معناه الحب والبغض، الواجب منه الذي من فقده فقد الإسلام أن يبرأ من الشرك بمعى أن يبغض الشرك، وأن يوالي التوحيد بمعنى يجب التوحيد.

أن يبرأ مما يعبده المشركون بمعنى يبغض المعبودات كما قال هنا ﴿**إِنَّنِي بَرَاء مِّمَّا تَعْبُدُونَ**﴾ يعني أني مبغض للذي تعبدون، ﴿**إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي**﴾ فإنني غير متبرئ منه ولكني محب. فإذن محبة لله وبغض للآلهة طبعا إذا كانت عُبدت وهي راضية إذا كانت من الأصنام والطواغيت ونحو ذلك، محبة للإسلام وبغض للشرك، هذا قدر واجب، من لم يحب الإسلام فإنه ليس على التوحيد، من أحب الإسلام وأحب الشرك فإنه قد ضاع ولاءه وبراءه.

بعد ذلك تكون أمور واجبة لكن تركها معصية ليس تركها قدحا في التوحيد وهو محبة أهل الإسلام وبغض أهل الشرك يعني أعيان المشركين، إذا لم يبغض أعيان المشركين بأعيانهم فهذا فيه تفصيل، وهذا وهذا قد يطول الحديث عنه لأن الولاء والبراء يحتاج إلى تفصيل طويل .

المقصود من السؤال أن تضبط الولاء والبراء الذي تركه كفر الولاء الواجب الذي هو من الإسلام

والتوحيد؛ بل هو الإسلام والتوحيد هو المحبة، محبة الإسلام ومحبة الله، والبراء الذي هو قرينه بغض الشرك وبغض معبودات المشركين، وهذا قدر من لم يأت به فليس بمسلم لأنه ناقص أصل الولاء والبراء .

ومما بعد ذلك ذكره السائل هذا فيه تفصيل فالذي يأتي بالمشركين يأتي بالكفار هذا صاحب معصية محرم، الواجب أن يوالي في الله وأن يعادي في الله هؤلاء إذا كان المستقدم لهم لا يجد الشرك ومعبودات المشركين وإنما أتى بهم لنفع فإن هذه معصية من المعاصي، إذا تبع ذلك موادة لهم ونحو ذلك وكان ذلك لغير مصلحة شرعية كان ذلك معصية والمسألة فيها تفصيل.

س/ إن أهم المهمات هو التوحيد فما هي الكتب والشروح والأشرطة التي تفيد في تعلم هذا الأصل العظيم؟

ج/ التوحيد قسمان: توحيد علمي خبري، وتوحيد عملي إرادي.

التوحيد العلمي الخبري هذا هو الذي يسمى العقيدة عقيدة أهل السنة والجماعة هذا له كتب خاصة.

والتوحيد العلمي الإرادي هو التوحيد -الذي ضده الشرك- العملي هذا هو توحيد العبادة .

هـذا وهـذا يحتـاج إلى تعلمه تعلم التوحيد الـذي ضـده الشـرك نعلم العقيـدة الصـحيحة الـتي ضـدها العقيدة الباطلة.

أما العقيـدة الصـحيحة فهي عقيـدة أهل السـنة والجماعة وأهم الكتب فيها لمعة الإعتقـاد وخذ شـرح اللمعة لأحد علماء هذه البلاد، وكذلك كتاب الواسطية وخذ شـرحا لـه، وتسلسل في كتب العقيـدة عقيـدة أهل السـنة والجماعة وكتب شـيخ تإسـلام ابن نيمية رحمه الله فيها بيان ذلك على وجه التفصيل .

كتب التوحيد توحيد العبادة أقربها وأولها كتـاب ثلاثة الأصـول للشـيخ محمد بن عبد الوهـاب رحمه الله وكتاب التوحيد أيضا وكتاب اقتضاء الصـراط المسـتقيم مخالفة أصحاب الجحيم لشـيخ الإسـلام ابن تيمية وما شابه هـذه الكتب مع شـروحها كتيسـير العزيز الحميد لكتـاب التوحيـد، وشـرح فتح المجيد ونحو ذلك من الشروح.

س/هل هناك فرق بين التوحيد والعقيدة؟

ج/التوحيد قسمان كما ذكـرت وبه يظهر التفرقة بين التوحيد والعقيـدة، وهما متلازمـان التوحيد والعقيـدة بمعنى واحد؛ لكن عند التصنيف يختلف ذلك.

س/ النـاس ولله اللحمد في مجتمعنا عقيـدتهم سليمة وعلى الفطرة؛ ولكن يحتاجون إلى تعلم الفقه وهل يبـدأ لهم بـالتعلم في التوحيد أو بالتفقه في الدين؟

ج/ العلم بالتوحيد وتعليم بالتوحيد أولا، العقيدة أولا، والتوحيد أولا؛ لأنه يراد منه صلاح القلب وأيضا يحدث الخوف من الشرك، وبقاء ذلك في الناس، هذا بقاء الدين في الناس، ولا يقدم عليه الفقه، ونحن نرى أن كثيرا من الشركيات بدأت تنشر في الناس في مجتمعات، فلا يقال إننا لا نحتاج إلى التوحيد، ألا ترون أن السحرة والكهنة كثر تسامع الناس بأحوالهم، ألا أن التطير وأن التمائم كثر تعليقها، تجد في السيارات صور الحيوانات، حذوة فرس، جلدة فيها عين، يأتي في باب بعض البيوت رأس فيه حيوان محنط أو نحو ذلك أو عليها حذوة فرس أو رسمة عين هذه كلها من التمائم التي هي من الشرك الأصغر، ألا ترون وجود تمائم مربوطة أو ربط خيط أو نحو ذلك، ألا ترون أن مولاة أعداء الله ومودتهم وتكريمهم ونحو ذلك هذه كلها أمور مخالفة للعقيدة والتوحيد.

فلا بد تعليم التوحيد فيه وبقاء للتوحيد، لابد أن نخاف من الشرك، فمن خاف سلم ونبي الله ورسوله إبراهيم عليه السلام دعا ربه بقوله ﴿**وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ**﴾[إبراهيم:35] قال إبراهين التيمي من علماء السلف الصالحين الأئمة قال لما تلى هذه الآية: ومن يأمن البلاء بعد إبراهيم.

فإبقاء التوحيد وتدريسه ونعليمه هذا فيه التخويف من الشرك والشرك أسرع ما يكون في الناس، وتذكروا قول النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامُ في الحديث الصحيح في الصحيحين وغيرهما «**لا تقوم الساعة حتى تعبد اللات والعزى » لا تقوم الساعة حتى لا يذكر الدجال**» يغفل الناس عن ذكر هذا الأمر، هذه المسألة من مسائل العقيدة ذكر الدجال والاعتقاد منه يغفلون عن ذلك لا يعلمونه فيخرج في غفلة من ذكر الناس له من تحذيرهم منه، لا يخرج الدجال حتى لا يحذر منه لا يخرج إلا في غفلة، كذلك الشيطان يأتي إلى الناس إذا غفلوا عن الأمر، التوحيد والفقه قرينان وابن القيم قال في نونيته:

والعلم أقسام ثلاث ما لها
من رابع والحق ذو تبيانِ
علم بأوصاف الإله وفعله
وكذلك الأسماء للديانِ
والأمر والنهي الذي هو دينه
وجزاؤه يوم المعاد الثاني
والكلُّ في القرآن والسنن التي
جاءت عن المبعوث بالفرقان
والله ما قال امرُؤ متحذلق
بسواهما إلا من الهذيان

إلى آخر كلامه، فالعلم بحق الله التوحيد والعلم بالشرائع بالأمر والنهي والعلم بإجزاء، التوحيد والفقه مقترنان يعلم هذا وهذا؛ لأن في التوحيد اصلاح

البـاطن وفي الفقه اصـلاح الظـاهر وكل منهما مهم والتوحيد أهم.

أختم بهذا وأسـأل الله جل وعلا لي ولكم التسـديد في القول والعمل، وأسأله أن يعفو عنا برحمته وأن يصلح لنا ديننا الـذي هو عصـمة أمرنا وأن يصـلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا.

اللهم إنا نسألك أن تصلح ولاة أمر المسلمين .

اللهم أصلح ولاة أمورنا واهدهم إلى الرشاد وباعد بيننا وبين سبيل البقي والفساد يا أكرم الأكرمين

اللهم إنا نسـألك صـلاحا في قلوبنا وصـلاحا في أعمالنا

اللهم نـور بصـائرنا، اللهم نـور بصـائرنا في أقوالنا وفي أعمالنا وفي اعتقاداتنا ونسـألك أن تمتنا على الإسلام وتحيينا على الإسلام.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد.

أعدّ هذه المادة: سالم الجزائري.